الفصل الأول

نبذة تعريفية عن الصابئة المندائيين

obeikan.com

obeikan.com

وقبل أن نستعرض بإسهابٍ عددًا من المؤرخين والباحثين من الأولين والمستشرقين والمعاصرين ورجال الدين المندائيين ، وعددًا من المثقفين المندائيين المهتمين بالشأن المندائي، علينا أن نفهم شيئًا ولو يسيرًا عن الصابئة المندائيين ، عن أصلهم ، ونشأتهم ، وتسميتهم ، وأركان دينهم ، وأنبيائهم ، ومهنتهم ، وعلمائهم ، ولغتهم ، ونبذة عن دينهم وإيمانهم المطلق بالحي العظيم ملك النور السامي ، وفكرهم ، والمحرمات عندهم ، وأهم كتبهم الدينية ، وأسباب هجراتهم المتكررة ، ومبادئ التوحيد عندهم ، وأهم الوصايا في كتابهم المقدس (الكنزا ربا) ، ولماذا هم جذر التوحيد الأول ، بمعنى أول الأديان الموحدة ، ولماذا يقدسون الماء الجاري ، ومعرفة مراسيم التعميد (الصباغة) ، وأمور أخرى... لنكوِّن صورة واضحة المعالم عن الصابئة المندائيين ، مما يسهل علينا تقديم الشكر والعرفان لمَن أنصفوهم بالحق والعدل من أصحاب الضمير الحي ، الذين كتبوا ودونوا المعلومات بأمانة وصدق وحيادية ؛ وليكون من حقنا أن نلعن من أجحف بحقهم ظلمًا وحقدًا وعدوانًا، أو بسبب ضعف معلوماتهم ونقلهم معلومات من الآخرين دون تدقيق وتمحيص ، والمفروض بالباحث المنصف أن يتأكد من المعلومة قبل تدوينها.

وطالما الصابئة المندائيون موجودون ، فيجب على الباحث معاشرتهم ومعرفة معلومات مؤكدة عنهم وعن دينهم عن قرب ؛ ليكون البحث دقيقًا وأمينًا.

نبذة تعريفية عن الصابئة المندائيين

- مقدمة:

لاحظنا أن المهتمين بأمور الصابئة المندائيين وأمور الدين المندائي هم رجال ونساء الطائفة الذين تجاوزت أعمارهم العقد الرابع ، أما الشباب والشابات فلا تلاحظ لهم وجودًا أو نشاطًا في المحاضرات والمؤتمرات وحتى مجالس العزاء، وهذا يعني أن المستقبل مخيف ؛ ولهذا رأينا من الواجب علينا أن ننبه على هذه الظاهرة الخطيرة، وأن ننوِّر النشء من شبابنا وشاباتنا بدينهم وتراثهم وتاريخهم وبالقيم والعادات والتقاليد ؛ لأنهم هم المستقبل ، وهم الورثة الحقيقيون للأجيال التي تقدمت بالسنِّ أطال "لهيي قدمايي" في أعمارهم...

وهذه نبذة تعريفية:

١- الأصل:

هناك عدة نظريات اجتهد بها الباحثون والمستشرقون مفادها:

أ) بعد الطوفان جنحت سفينة نوح على هامة جبل قردون في سلسلة جبال أرارات شمال العراق ، ومن النبي سام بن نوح وزوجته نوهوريتا تكاثر المندائيون وازداد عددهم ، وفي زمن النبي إبراهيم الخليل بنى مدينة حران في الشمال وسماها على اسم أخيه هران ، وسكن فيها المندائيون ، ومنها انحدروا جنوبًا إلى منطقة المياه البهية جنوب العراق وجنوب غرب إيران ، وعاشوا على ضفاف الأنهار دجلة والفرات والكارون والكرخة وحافات الأهوار.

وكذلك من حران اندفعوا غربًا إلى فلسطين ، وعبروا إلى أرض الكنانة في مصر.

وفي فلسطين دخلوا بحروب خاسرة مع اليهود فقُتِل منهم خلق كثير ، وتذكر المصادر التاريخية أنه في يومٍ واحدٍ قُتِل ثلاثمائة وستون ترميذاً ، وكانت تلك مجزرة سجلها التاريخ بعد وفاة يهيا يهانا نبي هذه الأمة ، وهذا الاحتمال رغم تأكيد عدد من الباحثين عليه ، إلا أنه لا تتوفر لدينا دلائل مادية قوية سوى ذكر وجود يهيا يهانا وأنه كان يُعمِّد الناس في نهر الأردن وقد عمَّد السيد المسيح ، ووجود مغطس النبي يهيا يهانا على ضفاف نهر الأردن كما ادَّعت وزارة السياحة الأردنية ، ولربما لأسباب سياحية.

ب) عدد كبير من الباحثين يؤكدون أن المندائيين موجودون في بلاد ما بين النهرين (أرض شنعار) عندما ازدهرت الحضارة السومرية في أور ، والحضارة البابلية في بابل ، والحضارة الأكدية في أكد ، وهناك كثير من الدلائل المادية ، ومنها الآثار والقحوف والرقم الطينية تؤكد على ذلك ، وقد أكده لنا عدد من الباحثين ، ومنهم الباحثة المندائية فريال زهرون ، كذلك تذكر كتبنا الدينية وأهمها كتابنا المقدس (الكنزا ربا) نهر الفرات وقدسيته وأنه مثيل لفرات زيوا السماوي في آلما دنهورا (عالم الأنوار) ، وعندما تقرأ (الكنزا ربا) – مبارك اسمه – بوثة آدم ، يذكر لنا أبونا آدم اسم دجلة والفرات فيقول **(مَن يسقي الشتلات المباركات ، ومَن يحمل لها الماء من دجلة والفرات)** ، وهو يخاطب مَلَك الموت صوروئيل ، عندما أخبر أبانا آدم أن عمره في هذا العالم بأمرٍ من هيي (الله) ، لقد انتهى وعليه أن يهيئ نفسه لتصعد نشماثته (نفسه) إلى عالم الأنوار.

بل هناك مَن يؤكد أن الصابئة المندائيين عراقيون قلبًا وقالبًا ، وأنهم من أوائل سكان بلاد ما بين النهرين وأنهم سكان البلاد الأصليين والأولين ، وأنهم أول الأديان التي وحدت الخالق وسبحته وعظمته ومجدته... ومن هذه الأرض الطيبة اندفعوا شمالاً إلى مدينة حران ، ومنها اتجهوا إلى فلسطين ، وعبروا إلى أرض الكنانة (مصر) ، ومن جنوب العراق رحل خلق منهم

إلى شبه الجزيرة العربية ، والأحناف منهم لهم نفس ملابسهم ، ونفس وضوئهم (رشامتهم) ، ونفس صلاتهم (براختهم) ، ونفس صومهم ، وعاداتهم وتقاليدهم ، وإيمانهم.

وبرز منهم الخطيب قس بن ساعدة ، والشعراء أمية بن أبي الصلت ، وزهير بن أبي سلمى ، وطرفة بن العبد ، والحكيم ورقة بن نوفل ، وخديجة بنت خويلد ، وآخرون من وجهاء القوم ومثقفيهم.

وهذا الرأي هو الأرجح ؛ لكثرة دلالاته ولكثرة الباحثين الذين يؤكدونه ، وما يرجح ذلك:

أولاً: أن المندائيين يؤمنون أن عالم الأنوار عالم مندائي ، وأن هيي قدمايي قد خلق الملائكة الأثريين مندائيين ، وأمر بخلق آدم مندائيًا ، وعلَّمه التوحيد والوصايا التي أنزلها بالكتاب المقدس (الكنزا ربا) ، وأن هيي قدمايي قد خلق رأس السلالة البشرية آدم وحواء مندائيين ، وبالتالي كانت ذريتهم التي ازدادت مع الزمن ، وابتهجت بهم الدنيا جميعًا مندائيين ، امتلأت بهم بلاد ما بين النهرين ، وأن سبب وجود المندائيين في أعماق الأهوار لأجيال عديدة هو الفتوحات الإسلامية طلبًا للأمان ، وللمحافظة على رجال الدين وكتبهم الدينية ، وهروبًا من القتل أو دفع الجزية أو تغيير الدين ، ولكنهم سرعان ما تعايشوا مع إخوتهم المسلمين وعاشوا في ظلهم ؛ لأن الإسلام أنصفهم في القرآن الكريم في ثلاث آيات بينات في سور البقرة والمائدة والحج ، إذ ذكر أنهم قوم موحدون مثل اليهود والمسيحيين:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

---

١ القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية ٦٢

ج) يؤكد عدد من الباحثين أن المندائيين هم بقايا من السومريين، وأنهم ساهموا في بناء الحضارة السومرية، وأنهم اخترعوا الكتابة المسمارية، فنقلوا البشرية إلى مرحلة إنسانية متقدمة؛ لأن علماء الاجتماع يُعرِّفون الإنسان أنه حيوان يقرأ ويكتب، كذلك صنعوا العجلة (الدولاب) فأحدثوا ثورة في تطور الحضارة البشرية في الصناعة وفي الزراعة وفي التكتيك العسكري وفي المواصلات وكل شيء يدور.

وخلاصة القول إن المندائيين هم أول الأقوام التي سكنت بلاد ما بين النهرين على ضفاف دجلة والفرات، وأنهم أصل العراقيين، وأقدم الأقوام، وأقدم الأديان الموحدة.

٢- لماذا سُمُّوا بالصابئة المندائيين؟

كلمة صابئة من الفعل الآرامي (صبأ)، أي اغتسل أو غطس في الماء، ومصدرها (مصبتا) وهي تعني اصطبغ في الماء الحي الجاري (اليردنا) فهم الصابغون، ونبينا كان يُسمَّى يهانه الصابغ، وهذا الرأي هو الصحيح والمؤكد من قِبَل المندائيين. إذ أن هناك مَن يقول إن الصابئة في الفعل العربي (صبأ)، أي مَن ترك دين أجداده فاتبع دينًا آخر؛ ولهذا أهل قريش كانوا ينادون الرسول محمد (صبئت يا محمد)، وهذا رأي بعض المؤرخين الأوائل من المسلمين، وهو رأي جَانَب الحقيقة وابتعد عنها.

كذلك يذكر بعض المؤرخين اليهود أن الصابئة من (صابي بن سام بن نوح)، وهذا أيضًا رأي غير صحيح لا نقره ولا نوافق عليه؛ لأنها اجتهادات غير صحيحة وبعيدة عن الحقيقة، فالصابئة المندائيين أدرى من غيرهم بمعرفة أصل تسميتهم (أهل مكة أدرى بشعابها).

أما كلمة (مندائيين) فتعني أهل العلم والمعرفة، وكلمة (مندي) تعني بيت العلم والمعرفة، وكلمة (منداهيي) فهي أحد أسماء الخالق الحسنى، تعني عارف الحياة.

وخلاصة القول إن الصابئة المندائيين تعني الصابغون المعرفيون أو المتعمدون، أهل العلم والمعرفة، وأنهم بإيمانهم ومعرفتهم العقلية وإحساسهم عرفوا خالقهم فعظموه وسجدوا لجلالته.

وهذا الاسم (الصابئة المندائيون) هو الاسم المحبب لنا جميعًا، والمعروفون به عند كل الأمم والأديان.

٣- أركان الدين:

أ. التوحيد ب. التعميد (الصباغة)

ج. الصوم د. الصلاة (البراخا والرشامة)

هـ. الصدقة (زدقا).

وإلى تفسير هذه الأركان:

أ) التوحيد:

الصابئة المندائيون أول الأديان التي وحدَّت الخالق.

بسم الحي العظيم

(أسبحك ربي بقلبٍ طاهر، أيها الحي العظيم، المتميز عن عوالم النور، الغني عن كل شيء، نسألك الشفاء والظفر، وهداية الجنان، وهداية السمع واللسان، ونسألك الرحمة والغفران، آمين يا ربنا، يا رب العالمين) والحي المزكى (كنزا ربا)

opeikan.com

وهذا مقطع من بوثة التوحيد التي تصف خالقنا بأعظم وأجمل الصفات.

(هو الحي العظيم ، البصير القدير العليم ، العزيز الحكيم ، هو الأزلي القديم ، الغريب عن أكوان النور ، الغني عن أكوان النور ، هو القول والسمع والبصر ، والشفاء والظفر ، والقوة والثبات ، هو الحي العظيم ، قرة القلب ، وغفران الخطايا)

والحي المزكى (كنزا ربا)

فهل هناك أجمل أعظم من هذا الكلام المنزل في توحيد الخالق!

فالصابئة المندائيون قوم موحدون يؤمنون بالله (هيي) -مبارك اسمه-، وباليوم الآخر ، وبالحساب ، والثواب ، ورسله ، وملائكته ، وبكتبه التي أنزلها للناس.

بسم الحي العظيم

(إن عكازتكم يوم الحساب أعمالكم التي عليها تتوكؤون، فانظروا إلى ماذا تستندون)

(إن كلَّ مَن يولد يموت ، وكل ما يُصنَع بالأيدي يفسد ، والعالم كله يفنى ، فأين سر الألوهية التي فيه إن كنتم تنظرون)

والحي المزكى (كنزا ربا)

ب) التعميـــد:

ونسميها الصباغة ، ونسمي نبينا يهانا الصابغ...

ويعتبر هذا الركن مهمًا ومقدسًا ، ويقوم بأدائه رجال الدين حصرًا ، ويتم أيام الآحاد أو في المناسبات الدينية ، وأقدسها أيام البروناية (البنجة) الخمسة البيضاء، وعيد دهفه ديمانا.

وشعيرة التعميد واجب مقدس على كل مندائي ؛ لتطهير الروح والنقاء والطهارة، فالطفل المندائي المولود حديثًا ، يجب أن يُعمَّد وأن يذكر اسمه الديني (ملواشة)، وكذلك عند الزواج وفي المناسبات الدينية ، وحتى المرأة التي تلد

عليها أن تتعمد لطهارتها. وحتى رجال الدين يصبغ بعضهم بعضًا ؛ للنقاء والطهارة، ويكون التعميد في اليردنا الماء الحي الجاري.

والمندائي المؤمن عليه أن يهيئ نفسه للصباغة، ويجب أن يعرف اسمه الديني، ويجب أن تكون لديه رسته يصطبغ بها ، التي تتكون من سروال وقميص وعمامة ونصيفة وهميانة ، والرسة تُخاط يدويًا وتُلبَس وفق ضوابط وأصول ، أما الهميانة فتُحاك يدويًا، وهي حزام يُربَط أضوليًا.

ج) الـــصـــلاة:

الصلاة عند المندائيين ثلاثة أوقات ، كلها في النهار ؛ لأن المندائيين يعطون أهمية بالغة للنور ، والصلاة تسمى الرشامة والبراخا ، والقبلة جهة الشمال ، ويُستدَل على الشمال بالنجم القطبي أو باستخدام البوصلة ، أو بمعرفة جهة الشمال ، وهذا الاتجاه يمثل لهم باب عالم الأنوار (الجنة) ، وأن الملاك أباثر (أواثر) سادن باب الجنة. والرشامة تعني الوضوء بالماء الحي الجاري (اليردنا) أما البراخا فتعني قراءة التسابيح والصلوات ، وذكر اسم الحي العظيم وملائكته المسبحين المعظمين للحي العظيم.

د) الـــصـــوم:

وهو شعيرة مقدسة ، وللمندائيين صومان ، صوم صغير وصوم كبير ، فالصوم الصغير امتناع عن تناول كل ما هو حي في أيام معدودات مقدارها ستة وثلاثين يومًا موزعة على مدار السنة بنظام ، وفيها يُمنَع الذبح ، ونسميها (أيام مبطلات). أما الصوم الكبير فيأمرنا هيي قدمايي بالصوم الكبير: **(صوم العقل والقلب والضمير ، لتصم عيونكم ، وأفواهكم ، وأيديكم ، لا تهمز ولا تلمز).**

(لا تنظروا إلى الشر ولا تفعلوه ، والباطل لا تسمعوه ، ولا تنصتوا خلف الأبواب ، ونزهوا أفواهكم عن الكذب ، والزيف لا تقربوه).

امسكوا أجسادكم عن معاشرة أزواج غيركم
امسكوا قلوبكم عن الضغينة والحسد والتفرقة
امسكوا أيديكم عن القتل والسرقة
امسكوا ركبكم عن السجود للشيطان ولأصنام الزيف
امسكوا أرجلكم عن السير إلى ما ليس لكم.
إنه الصوم الكبير فلا تكسروه حتى تفارقوا هذه الدنيا الفانية ، فطوبى لمن سمع وآمن أنه يصعد ظافراً إلى بلد النور.

هـ) الـــزدقـــة (الصدقـــة):

شعيرة عظيمة تحتاج إلى شجاعة ، فالكرم من شيم الشجعان ، والدين المندائي وتعاليم الكتاب المقدس (الكنزا ربا) توصينا إذا وهبنا صدقة باليمين يجب ألا تعلم الشمال ، وإذا وهبنا صدقة بالشمال يجب ألا تعلم اليمين، فبئس من أعطى صدقة وشهَّر بها فأفسدها.

(إذا رأيتم جائعًا فأطعموه ، وإذا رأيتم عريانًا فاكسوه ، وإذا رأيتم عطشانًا فاسقوه)
والصدقة هي الهبة الصادقة التي يقدمها المؤمن الصادق ، فالهبة لوجه الحي العظيم ، ملك النور السامي ، وهي اعتراف بنعمة خالقنا علينا ابتغاءً للتقرب ورضاه عنا. وهي أحد أسرار النور ونعمتها ، إذ تفيض على واهبها ينابيع الحكمة والخير فيستنير عقله وتبتهج نفسه بها ، وأداؤها واجب وفرض مقدس ، وهي صفة من أخلاقيات الدين المندائي ومبادئه التي توصي بالكرم والعطاء والهبة لمَن يستحقها.
والنبي يهيا يهانا يوصينا بالصدقة ؛ لأنها تفتح لنا طريق الصعود والارتقاء إلى عالم الأنوار ، لنحيا حياة ثانية أبدية دون مرض وأوجاع ودون موت ثانٍ.
الصدقة تعني فعل الخير ، وتعني أعلى المثل والقيم العليا وحاجة المحتاجين لها مثل حاجة الفم لليد عند الإنسان، أو مثل حاجة الأعمى لدليل يدله على الطريق.

٤- الأنبياء:

أ) آدم:

رأس السلالة البشرية ومنه ومن حواء تكاثر المندائيون وابتهجت بهم الدنيا.
بسم الحي العظيم **(وخلقنا آدم من الدم والطين الأحمر والمرارة ومن أسرار هذا الكون) كنزا ربا.**
إن الصحف الأولى في الكتاب المقدس نزلت على أبينا آدم ، فبعد أن جبلَّ آدم وتخللته النشماثا التي جُلبت له من عالم الأنوار ، دبَّت فيه الحياة وتنفس وتحرك. فأمر الحي العظيم الملاك مناداهيي أن يغرس في قلبه الإيمان ويعلمه الوصايا كلها ليزداد إيماناً وحكمة ؛ لكي لا يغويه الشيطان.
عاش آدم ألف عام[١] ، فقال الحي العظيم وهو مستوٍ على عرشه **(ليكن الموت من نصيب أهل الدنيا، فليخرج من جسده قبل أن يشيخ ، وقبل أن توهنه الأسقام).**
ونُفذ الصوت
نحن نسميه الحق ، وأنتم تسمونه الموت.
فنزل ملاك الموت صوروئيل ليخلص نشماثا آدم ويصعد بها إلى الواحد الأحد ، الذي لا تقبل لديه شفاعة ولا قربان ، ولا يستبدل إنسانا بإنسان.
نزل صوروئيل إلى عالم العوز والنقصان
ونادى آدم وعلمه الحكمة والإحسان
وقال له:
كنت أخرس فأنطقناك
وأصم فأسمعناك
وجاهلاً فعلمناك
ومستوحشاً فآنسناك

---

(١) لا نعلم كيف كانت تحسب الأعمار

openkan.com

ولكن آدم طلب من خالقه أن يمهله ألف عام أخرى ورجاه وأعطى ولده شيتل بدلاً عنه، وتلك يمكن متابعتها بكتاب (الكنزا ربا) القسم الأيسر.

ب) شيتل (شيت):

كان ابن ثمانين عامًا، ولم تكن له زوجة ولا غلام، وكان راغبًا في هذا المقام، وأن يكون بديلاً لأبيه آدم.
وعندما صعدت تشماثة شيتل إلى عالم الأنوار ورأى آدم كل ذلك ندم لأنه رأى ولد شيتل محاطًا بالملائكة معززًا مكرمًا مرحبًا به في بلد النور يعيش حياة ثانية أبدية.
يعتبر شيتل من أنبيائنا المبجلين وهو الميزان الذي تُوزن به الأرواح، فشيتل يعتبر النموذج المثالي؛ لأنه لم يقترف ذنبًا ولم يعمل عملاً باطلاً في حياته، فعندما تحاسب روح الإنسان في محطات الحساب (المطراثي) بعد الموت تُقَاس حسناته وسيئاته خلال مرحلة حياته بالنموذج شيتل عند سادن باب عالم الأنوار الملاك أباثر.

ج) سام بن نوح:

بعد أن حل الطوفان وغرق العالم بقيت سفينة نوح طافية على وجه الماء وفيها من كل زوجين اثنين، وفيها نوح وابنه سام وزوجة سام نوهوريتا، وبعد أحد عشر شهرًا جنحت سفينة نوح على هامة جبل قردون شمال العراق، ومن الرجل سام وزوجه نوهوريتا ومن ذريتهم تكاثر الناس وابتهجت بهم الدنيا.
لقد تكاثر المندائيون وكانوا من الموحدين، بعدها استقروا في مدينة حران، ثم انحدروا جنوبًا إلى المياه البهية، وغربًا إلى فلسطين.
لقد نزل عدد من الصحف الأولى من الكتب المقدسة (الكنزا ربا) على نبينا سام بن نوح الذي أعاد للبشرية رونقها وبهاءها وأنقذها من دمار الطوفان.

د) إدريس (دنانوخت):

نسميه نحن المندائيون دنانوخت، ورد اسمه في القرآن الكريم نبي الله إدريس، ويسميه الفراعنة (أخنوخ)، ويسميه الغنيوصيون (هرمس الحكيم)، ويُعتبر هو مؤسس المذهب الغنوصي، لقد هذَّب الروح وطوعها وأخضعها للحساب القاسي لكي ينقيها ويُبعدها عن الخطيئة والعوز والنقصان.

نحن المندائيون معرفيون، نؤمن بقدرات العقل ونعطيه حقه، والغنوصية توحد الخالق جلت قدرته بمواجد القلب، فهناك نوع من الاختلاف في الرؤية والتفكير بالتقرب والتعرف على الخالق جلت قدرته.

لقد ورد اسم دنانوخت في الكتاب المقدس (الكنزا ربا)، يمكن الإطلاع عليه في القسم الأيمن.

كذلك للنبي هرمس مواعظ وحكم كثيرة لا مجال لذكرها الآن، ومَن يحب التوسع في المعلومات فليقرأ كتاب هرمس الحكيم.

هـ) بهـرام ربـا (إبراهيم الخليل):

ظهر النبي إبراهيم الخليل في أور في الناصرية على ضفاف نهر الفرات، وكان نبيًا مندائيًا، بُشِّر بعبادة الخالق عبادة خالصة دون وسيط، فقد أنكر على أهل الجزيرة عبادة الغرانيق كواسطة بينهم وبين الخالق، كذلك اختلف مع المندائيين حول تقديس الملائكة كوسطاء بينهم وبين خالقهم، بعدها أصابه مرض في غلقته فاضطر للاختتان، فهاجر مع عدد من أتباعه إلى مدينة حران التي بناها وسماها على اسم أخيه هاران، ثم هاجر إلى فلسطين ومنها بعد حين عبر إلى مصر... ويعتبر الأحناف من أتباع نبي الله إبراهيم وعلى ملته، وعدد من الباحثين يعتبرون الأحناف مندائيين والمندائيين أحنافًا؛ للتشابه بينهم في التوحيد والصوم والصلاة والتعميد. [1]

---

(١)الصابئة المندائيون يعتبرون بهرام ربا ملاك أثيري

و) يهيا يهانا:

خاتم أنبياء الصابئة المندائيين، وُلِد في بيت نبوة أبيه زكريا وأمه أنشبي وتسمى الياصابات أي (الشيخة).

دعا زكريا ربه وعمره تسعة وتسعون عامًا، وعمر زوجته ثمانية وثمانون عامًا، وكانت عاقر، لم يتقرب منها منذ عشرين عامًا، أن يكون له ولد يرثه ويرث آل يعقوب.

وكثف الدعاء والصلاة فاستجاب له هيي، فولدت أنشبي له ولدًا مباركًا سماه يهيا يهانا، كان يعمد الناس في اليردنا ويذكر عليهم أسماء هيي قدمايي، ولقد عمَّد السيد المسيح بأمرٍ من هيي ليصبح نبيًا بعد ذلك، قال بحقه السيد المسيح وذكر ذلك في الإنجيل (لن تلد النساء مثل يوحنا المعمدان...)، وقال بحقه الرسول محمد (كل إنسان يقف يوم الحساب وله ذنب إلا يحيى بن زكريا)، وذُكِر في القرآن الكريم في سورة مريم ذكرًا كريمًا.

وعند المسلمين يذكرون يهيا يهانا باسم يحيى، والمسيحين يذكرون يهانه (يهانا) باسم يوحنا، فيقولون النبي يحيى بن زكريا ويوحنا المعمدان.

يعتبر نبي الله يهيا يهانا من الأنبياء الأنقياء الأتقياء الحكماء الوعاظ الصادقين الكاملين.

لقد ذكره كتابنا المقدس وذكر تعاليمه ووصاياه، كما ذكره الإنجيل فقد قال في حقه السيد المسيح (لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان).

كذلك ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة مريم، بسم الله الرحمن الرحيم: (ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي).

و(يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا).

و(وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا).

و(يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسمه يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا).

صدق الله العظيم

إن تعاليم النبي يهيا يهانا ومواعظه مدونة في كتابه (دراشة اد يهيا) أي تعاليم النبي يهيا، ومن الضروري على كل مندائي، وخاصةً الشباب أن يطَّلعوا على هذه التعاليم العظيمة، خاصةً وأن لجنة الترجمة قد ترجمت هذا الكتاب إلى اللغة العربية.

وُلِد يهيا بن يهانا من أبوين مندائيين، وكان أجداده مندائيين، وكانت ولادته معجزة عظيمة عززت الإيمان لدى المؤمنين.

٥- أهم الكتب الدينية المندائية:

- (الكنزا ربا) (الكنز العظيم):

ويُسمى الكتاب أو الصحف الأولى، أنزله الحي العظيم بالتتابع على أنبيائنا من آدم إلى يهيا يهانا، ونُقِل شفهيًا إلى أن دوِّن باللغة الآرامية (اللهجة المندائية).

ويتكون من قسمين، قسم أيمن يتضمن التوحيد والوصايا والخلق والتكوين وتسابيح عديدة، وقسم أيسر يعني بالنشماثا وخروجها إلى عالم الأنوار بعد الوفاة ليحيا الإنسان حياة ثانية أبدية ليس فيها مرض ولا أوجاع ولا موت ثانٍ، حياة أثرية ملائكية بعد أن تجتاز روحه محطات الحساب (المطراثي)، وتتحد مع النفس وتعود إلى موطنها الأصلي الدموثا.

- سيدرا اد نشماثا (كتاب الأنفس):

وهذا كتاب متخصص بهبوط النشماثا وتغلغلها جسد آدم، ويضم عددًا من التراتيل الخاصة بالعروج والتعميد.

- دراشة اد يهيا (تعاليم النبي يهيا):

تعاليم ومواعظ ودروس وعبر ووصايا وحِكَم نبينا يهيا يهانا -مبارك اسمه-.

- قلستا:

وهذا كتاب متخصص بالزواج المندائي، وما أروع وما أجمل الزواج المندائي وطقوسه وشعائره!

- انياني الرهمي:

كتاب متخصص بالدعاء والصلوات.

- نياني مصبتا:

خاص بالصباغة (التعميد).

وهناك ستة وعشرون ديوانًا كشروحات تفصيلية لإجراء الطقوس.

٦- اللغة المندائية:

المندائيون يتكلمون اللهجة المندائية، وكل كتبهم الدينية مدونة بها، وهذه اللهجة إحدى اللهجات الآرامية الشرقية؛ لأن اللغة الآرامية القديمة التي تكلمها الآراميون قبل الميلاد بأكثر من ألفي سنة قد تأثرت باللغة الفينيقية الكنعانية قبلها، ثم تشعبت إلى آرامية غربية وآرامية شرقية، تمثلت الغربية باللهجات التدمرية والعبرية، والشرقية بالسريانية والكلدانية والمندائية والآشورية.

واللهجة المندائية تتكون من ٢٤ حرفًا تبدأ بحرف الألف وتنتهي به؛ لإيمانهم أن كل الأشياء تعود إلى أصولها وبداياتها

واللهجة المندائية قريبة جدًا من اللهجة السريانية والكلدانية، وتعتبر حاليًا لغة دينية للمندائيين، وجميع الكتب الدينية قد دوِّنت بها، علمًا بأنه قد تم ترجمة عدد منها إلى اللغة العربية، وخاصةً الكتاب المقدس (الكنزا ربا)، وكتاب دراشه اد يهيا (تعاليم النبي يهيا).

بُذِلَت جهود في الوطن الأم، وأُنشِئت مدرسة مندائية في مندي بغداد في القادسية وتخرجت دورات عديدة ، وتمكن الدارسون من التفاهم بينهم ؛ ولكن لأنهم لا يتكلمون هذه اللغة في البيت سرعان ما تضعف ويتم نسيان الكثير من مفرداتها.
وفي بلاد المهجر جدت محاولات عديدة لإحياء مثل هذه المدارس ، وبادرت الجمعية المندائية في مدينة اسكلستونا في السويد بفتح مدرسة مندائية بمساعدة منظمة **A.B.F** الإنسانية السويدية ، ونأمل خيرًا ونشجع الجميعات المندائية أن تحذو حذوها ، وتستفيد من خبرتها ومن مناهجها.
ولغرض أن يتعلم المندائيون لغتهم الأم مثل السريان والكلدان والآشوريين ، عليهم أن يتكلموها في البيت وفيما بينهم ، ويتطلب الأمر إنشاء مدارس تعليمية على شاكلة المدرسة المندائية التي أنشأها مجلس الشؤون العام في بغداد ، والمدرسة المندائية التي أنشأتها الجمعية المندائية في اسكلستونا حاليًا.

٧- صفات الخالق جلَّت قدرته :

يصوِّر الكتاب المقدس (الكنزا ربا) الخالق وكأنك تراه وتحسه ، فهو ملك النور السامي ، كله نور لا ظلمة فيه ، كله إشعاع ، كله خير ، كله طيبة ، رب العوالم جميعًا ، العليا والوسطى والسفلى ، انبعث من ذاته قبل الضياء والماء.
ومنه انبثقت الطاقة والحرارة الحية ، وبأمره تكوَّن عالم الأنوار والعالم الأرضي ، وبأمره خُلِق كل شيء ، وبقوله كان كل شيء.
وأمامه الملائكة مسبحين لرب العظمة السامي ، ليس له والد ولا ولد ، ولا يشاركه مُلكه أحد.
ومن صفات الخالق المحببة الرائحة الطيبة العطرة ، من شمها شعر بالحياة والشذى العبق ، وصوته بهيج يسر النفوس ويأسرها ، ومن صفاته جمال الوجود، الكلمة التي خلق بها العوالم النورانية.

كذلك جمال الهيئة وعظمتها ، هو هيي قدمايي ملك النور السامي ، أصل النيرات كلها ، ورب الملائكة النورانيين وخالقهم ، ومن قدراته طُبِع اسمه على أفواه المؤمنين ، فهم جميعًا له مسبحون.

هو الله الأول منذ الأزل ، خلق كل شيء وبأمره كان كل شيء.

وللدين تعاريف كثيرة منها ، شعائر وطقوس تميز أتباعه عن غيرهم من أتباع الديانات الأخرى.

والشكر ، كل الشكر لخالقنا الذي هدانا لتوحيده ، والإيمان بقدراته ، فهو ملك النور منذ الأزل ، ثابت عرشه ، عظيم ملكوته ، مبارك هو في كل زمان ، موجود منذ القدم ، باقٍ إلى الأبد.

خلق الإنسان في جسدٍ ماديٍّ ونشماثة روحية في عالم الأنوار ، فيها سره وفيها عظمته وفيها قدرته.

فالحي العظيم أبدي ليس له بداية ، وسرمدي ليس له نهاية ، لا نعرف متى كان ، ولا نعرف متى لا يكون.

(ما كان لأنه ما كان ولا يكون لأنه لا يكون) كما ورد في الكنزا ربا.

ولهذا فالصابئة قوم موحدون يؤمنون بالحي العظيم ، ويسمونه بأسمائه الحسنى ، وباليوم الآخر ، وبرسله وأنبيائه الذين بعثهم بالحق ، وبملائكته ، وبالثواب والعقاب (المطراثي دار الحساب).

يا جميع الذين تسمعون نداء الحي العظيم حين تقومون وحين تقعدون ، حين تذهبون وحين تؤوبون ، تأكلون أو تشربون ، أو أنتم في مضاجعكم ، وأنتم تعملون: اذكروا الحي العظيم كثيرًا ، وهيئوا يردنا واصطبغوا بها ، اصبغوا نفوسكم بالصبغة الحية التي أنزلها الحي العظيم عليكم ، من أكوان النور ، والتي اصطبغ بها كل المؤمنين الكاملين المسبحين المعظمين الممجدين لملك النور السامي.

٨- تجليات الخالق:

يؤمن الصابئة المندائيون أن العالم العلوي (عالم الأنوار) تم خلقه في خمسة أيام يسمونها الأيام البيضاء أو البنجة ودينيًا البرونايا:
في اليوم الأول منها تجلى هيي قدمايي ملك النور السامي،
وفي اليوم الثاني منها تجلى الحي العظيم رب العظمة ماري دريوثا،
وفي اليوم الثالث منها تجلى الحي العظيم عارف الحياة مندادهي،
وفي اليوم الرابع منها تجلى الحي العظيم الحق الكامل،
وفي اليوم الخامس بدأت الحياة وتفجرت الينابيع الحية العذبة وجرت اليردنا في الأنهار، وبدأت الحياة الملائكية في عالم الأنوار، وتكونت جنة الحي العظيم في العالم العلوي.
وتعتبر الأيام الأربعة الأولى كأنها يوم واحد بيضاء لا ليل فيها ولا تعد هذه الأيام الخمسة من أيام السنة المندائية التي مقدارها ثلاثمائة وستون يومًا مقسمة على اثني عشر شهرًا، كل شهر ثلاثون يومًا بالتمام والكمال.

٩- التوحيد والوصايا:

الصابئة المندائيون أول الموحدين وأول مَن آمن بالحي العظيم ووحَّده وسبحه ومجَّده، وكتاب (الكنزا ربا) هو أول الصحف التي نزلت على آدم رأس السلالة البشرية وعلى مَن بعده من الأنبياء المندائيين، والكتاب المقدس (الكنزا ربا) يعتبر أول الكتب السماوية التي أنزلها الخالق على الأنبياء آدم وشيتل وسام بن نوح ويهيا يهانا، وهناك كثير من البحوث التي تمجد وتعظم خالقنا رب الناس جميعًا.

(أسبحك ربي بقلب طاهر
أيها الحي العظيم
المتميز عن عوالم النور

الغني عن كل شيء
نسألك الشفاء والظفر
وهداية الجنان
وهداية السمع واللسان
ونسألك الرحمة والغفران
آمين
يا ربنا يا رب العالمين)

والحي المزكى (كنزا ربا)

(هو الحي العظيم ، البصير القدير العليم ، العزيز الحكيم ، هو الأزلي القديم ، الغريب عن أكوان النور ، الغني عن أكوان النور ، هو القول والسمع والبصر ، والشفاء والظفر ، والقوة والثبات ، هو الحي العظيم ، قرة القلب ، وغفران الخطايا)

والحي المزكى (كنزا ربا)

الكتاب المقدس (الكنزا ربا) -مبارك اسمه- يصف الخالق وصفًا دقيقًا يصوره لك وكأنك تراه وتتصوره ، فالحي العظيم أبدي ليس له بداية وأزلي ليس له نهاية.

بقوله كان كل شيء وبقدرته خُلِق كل شيء ، خلق الإنسان من جسدٍ مادي ونشماثا روحانية وضع فيها سره وقدراته وعظمته ، وهي هبه من الحي العظيم باقية إلى أبد الآبدين ؛ ولهذا فالصابئة المندائيون قوم موحدون يؤمنون بالحي العظيم ، وملائكته ، ورسله ، وكتبه التي أنزلها عليهم ، وبكل تعاليمه ووصاياه ، ويؤمنون بالحساب والثواب ، وبالحياة الثانية الأبدية في عالم الأنوار حيث لا مرض ولا أوجاع ولا شيخوخة ولا موت ثانٍ.

فيجب على الإنسان أن يكون أمينًا صادقًا نزيهًا ، لا يقترف ذنبًا عن عمد ، وأن يتميز بالصفات الحميدة والأخلاق الحسنة ، وأن يحب الناس ويكون عضوًا نافعًا في المجتمع ، وأن يحترم والديه ويستمع لنصائحهما وتوجيهاتهما ، وأن يحب

إخوته وأخواته وأقرباءه ويقدم لهم العون والمساعدة، وأن يكون محبًا للناس ولدينه وتعاليمه ولرجال الدين، ولديه من الحب ما يكفي الجميع؛ ليباركه الحي العظيم ويرزقه الصبر والخير والذكاء والحظ، وينير دربه ويرسم له مستقبلاً زاهرًا.

(إن عكازتكم يوم الحساب أعمالكم التي عليها تتوكؤون، فانظروا إلى ماذا تستندون)
والحي المزكى (كنزا ربا)

لأن كتابنا المقدس (الكنزا ربا) يعلمنا أن كلُّ مَن يولد يموت، وكل ما يُصنَع بالأيدي يفسد، والعالم كله يفنى، فأين سر الألوهية التي فيه إن كنتم تنظرون.
ويعدنا الخالق جلت قدرته بحياة ثانية أبدية طالما عشنا هذه الحياة أنقياء أصفياء مؤمنين، نقدم الحب والخير للناس، ونوحد خالقنا رب العباد، ونهتدي بتعاليمه ووصاياه.
والوصايا المدونة في كتابنا (الكنزا ربا) كثيرة، نذكر شيئًا منها:
- قل يا عبادي لا تزنوا ولا تسرقوا ولا تنتهكوا حرمات الناس.
- احترموا آباءكم، واحترموا أمهاتكم، واحترموا إخوتكم الكبار أجمعين، إن مَن لا يحترم والديه مدان إلى يوم الدين.
- أرشدوا الأعمى، وأحسنوا إلى الفقير، وإذا تهبون صدقة يا أصفيائي لا تشهدوا عليها ولا تشهروا بها، لا تعلم يمينكم بما وهبت شمالكم، ولا تعلم شمالكم بما وهبت يمينكم.
- لا تأكلوا الميت ولا الدم ولا المشوه ولا الحامل ولا المرضعة ولا الحائض ولا التي أجهضت، ولا الجارح ولا الكاسر، ولا الذي هاجمه حيوان مفترس.
- أيها المندائيون الصالحون إذا اخترتم لأنفسكم أزواجًا فاختاروا من بينكم (من دينكم) وأحبوهن، وليحفظ أحدكم الآخر، واعتنوا ببعضكم عناية العيون بالأقدام،

وليحب بعضكم بعضًا، وليتحمل بعضكم بعضًا، ولا يفارق أحدكم الآخر حتى تنتهي أعماركم، بهذا تعبرون بحر سوف العظيم.

– لا تبكوا موتاكم ولا تقيموا عليهم الأحزان، إن مَن مزَّق ثيابه على ميت فقد دنَّسها، ومَن خلع شعره على ميت فسُيربَط بجبل الظلام بحبلٍ لا يبيد.

مَن أحب موتاه فليطلب لهم الرحمة، وأقيموا عليهم الصلاة والتسبيح، واقرؤوا الابتهالات، وأقيموا مسقثا الرحمة من أجلها، عندئذٍ يسير الضياء أمامها، والنور ورائها، ورسل الحي على يمينها، وملائكة النور عن شمالها، فتنجو من دار الحساب (المطراثي) ومن مراجل النار.

– هبوا الخبز والماء والمأوى لبني البشر للمتعَبين وللمضطهَدين، وكونوا عادلين، وتحابوا صادقين.

– لا تحلفوا كذبًا، ولا تبدلوا أيمانكم، ولا تأكلوا مال الربا، وإن أقرضتم فلا تقرضوا سرًا.

– أحبوا لأصحابكم ما تحبون لأنفسكم، واكرهوا لهم ما تكرهون لها، وتزودوا لآخرتكم بالعمل الصالح، فانظروا واسمعوا وآمنوا، وتقبلوا كلمات ربكم.

١٠- الماء والتعميد:

الماء الضياء شكلت الحياة بأمرٍ من ملك النور السامي، وهي حلقات مترابطة بين عالم الأنوار وعالمنا الأرضي.

وبأمرٍ من خالقنا هيي قدمايي

حلَّ الثمر العظيم داخل الثمر العظيم

وبأمره سبحانه

كان أثير الضياء العظيم

ومن آير زيوا، أثير الضياء العظيم، كانت الحرارة الحية ومن الحرارة الحية كان النور.

بقدرة ملك النور السامي صارت الحياة
وصار الثمر ، الثمر العظيم ، وصار فيه يردنا (الماء الحي الجاري)
وإذ صار يردنا العظيم صار الماء الحي الجاري
الماء المتألق البهيج
ومن اليردنا نحن الحياة صرنا ، ثم صار الأثريون بأمرٍ من الحي العظيم.
وبعد أن صارت الحياة ، صار الظلام ، ثم صار بعده العوز والنقصان.
كانت الأرض يغطيها الماء الآسن ، وعندما صُبّ بها الماء الحي من عالم الأنوار أصبح الماء الذي يغطي الأرض ماءً عذبًا، ماءً حيًا بهيجًا جاريًا (يردنا) لغرض نشر البهاء والخير وتقديم العون للنشماثا للصعود والارتقاء ، ولغرض تهيئة المناخ للتعميد والشفاء.
إن اختلاط الماء الحي السماوي بماء الأرض عزز العلاقة بين عالم النور والعالم الأرضي مما أدَّى إلى نشوء الحياة في هذا العالم وكل شيء تمَّ بأمرٍ من خالقنا سبحانه.
إن الماء الحي الجاري (اليردنا) عنصر أساسي في كل الطقوس المندائية ، التعميد (الصباغة) ، المسقثا ، طراسة (تكريس) رجل الدين ، الزواج ، النحر والتطهير ، الرشاما (الوضوء) والطماشه وتكريس المندي.
فلا شعيرة دينية تتم دون اليردنا والنور فهما رمز الحياة ، بل هما الحياة نفسها.
فلا تعميد دون وجود النور والماء ، فعادةً يتم التعميد يوم الأحد من كل أسبوع وفي الأعياد والمناسبات الدينية ، والتعميد ضروري عند الولادة والزواج وتطهير الروح والجسد من كل ذنب.
وأثناء مراسيم التعميد التي تجري في اليردنا تُتلى تراتيل عميقة المعنى ؛ لأن الماء الحي يقيم الحياة ويعززها لأنه عنصر خالق للحياة وبهائها ، وتكون الماء ونشوء الحياة من مائها وقيام الحياة بتكوين الأشياء داخل المياه الحية يقدره الحي العظيم.

وكما يذكر لنا القرآن الكريم ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[1]. دلالة واضحة وتعزيز لما ورد في كتابنا المقدس (الكنزا ربا).
إن الماء الحي هو حلقة الوصل بين عالم الأنوار والعالم الأرضي، ويكون الماء الحي ممرًا للنشماثا عند عروجها أثناء التعميد أو في رحلة ما بعد الموت الدنيوي ومفارقة النشماثا الجسد.

١١- المُحرَّمات:

المحرمات في الدين المندائي كثيرة، ففي الوصايا في الكتاب المقدس (الكنزا ربا)، ستجد أن هيي ربنا قد نهى عن القتل والسرقة والكذب، وعن الربا وعن هتك أعراض الناس، وعن النميمة وشهادة الزور، والكفر بالخالق، وخيانة الأمانة، والزنا، والسجود لغير الخالق، وعبادة الأصنام والأوثان والكواكب والأفلاك والبشر والنار وكل شيء، ما خلا الخالق رب الناس أجمعين.
كما حرم السحر والشعوذة، وقتل الحيوان دون سبب أو إيذائه أثناء ذبحه، كما حرم البكاء والنواح ولبس السواد على الموتى، كما حرم عدم التحدث بالصدقة، وحرم تلويث الأنهار، والإجهاض المتعمد، والقسم والحلف بالباطل، وأمور كثيرة.
أما فيما يخص الطعام فالمحرمات هي:
الدم، والميت، والحامل، والحائض، والتي أجهضت، والمشوه، والكاسر، والجارح، وكل ما مسَّه حيوان مفترس.
والدين المندائي يحرم كل ما يلحق الإنسان من ضرر، وكل ما يخالف وصايا وتعليمات الخالق ورسله وكتبه المنزلة.

---

١ القرآن الكريم: سورة الأنبياء، الآية ٣٠

١٢- كيف زوَّج أبونا آدم ولديه لبنتيه؟

يُعتبر آدم رأس السلالة البشرية، أول أنبيائنا وأول مَن نزلت عليه آيات بينات من كتابنا المقدس (الكنزا ربا) على شكل تعاليم ووصايا نقلها له الملك النوراني منداهيي بأمرٍ من هيي.

وقد خلق هيي قدمايي آدم من الطين والدم والمرارة ومن أسرار الكون، ونزلت له نشماثا من عالم الأنوار حملها له الملاك منداهي بعد أن أخذت من الدموثا (النظير) آدم كسيا (آدم الخفي).

ولهذا لا يوافق الصابئة المندائيون على ما قاله الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري:

إذا مـــا ذكرنـــا آدم وفعالـــهُ وتزويجـــه بنتيـــه لابنيـــه فـــي الخنـــا

علمنا أنَّ النَّـــاس مـــن نســـلٍ فـــاجرٍ وأنَّ جميع الخلـــق مـــن عنصـــر الزنـــا

ومن حقنا أن نستغرب من فيلسوف مثل الشاعر أبي العلاء المعري الذي كتب رسالة الغفران، وكان من رواد مجلس الشريف الرضي، صديق العالِم المندائي أبي إسحاق الصابي، أنه لم يطلع على كتابنا المقدس (الكنزا ربا).

ولا يعرف أن الحي العظيم أرسل الدموثا (النظير) مشوني قشطا في عالم الأنوار، أي الفتيات وتزوجهن أولاد آدم، وأرسلت البنات من مشوني قشطا وتزوجن الأولاد. ولهذا فالمرأة أتت من عالم الطهارة والنقاء؛ ولهذا يسمون المولود باسم أمه (اسمه الديني) أي الملواشة التي تجري له كل الطقوس الدينية بهذا الاسم... والحق يُقال ربما الابن يُسمى باسم أمه؛ لأنها الوحيدة التي تعرف هو ابن مَن، إذا استثنينا العلم الحديث ومسألة D.N.A.

١٣- الإنسان وما أدراك ما الإنسان:

الدين المندائي يعلمنا أن الإنسان يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية (الجسد ، النفس ، الروح).

أ) الجسد: جُبِل من طين ويعود إلى الطين ، وهو الوعاء أو الجذع الذي يحتوي على النشماثا (النفس + الروح).

ب) النفس: وهي قبس من هيي طاهرة نقية لا تشوبها شائبة.

ج) الروح: تمثل الفعاليات والغرائز التي يقوم بها الإنسان من المهد إلى اللحد ، وهي خاضعة للحساب في محطات الحساب (المطراثي).

فعندما يموت الإنسان تحرر النشماثا من الجسد وتبقى ثلاثة أيام تحوم بين القبر وبيت المتوفى ، بعدها تعرج إلى أباثر سادن باب المه دنهورة ، وهناك تنفصل الروح عن النفس ، وتعرج الروح إلى المطراثي للحساب.

فإن ثقلت حسناتها وقلت سيئاتها مقارنةً بالنبي شيتل الذي يمثل ميزان أباثر ، صعدت إلى الملاك أباثر واتحدت (لوفا) مع النفس وكونت النشماثا التي تعود إلى أصلها الدموثا (النظير) الذي أخذت منه عند الصيرورة.

أما الدموثا فيغادر جسمه الأثيري ويتحول إلى ملاك نوراني ، وهناك العقل والقلب والضمير ، ولكل منهم واجبات وعمل ، وباختصار شديد هذه فلسفة عميقة تحتاج إلى تفسير وتنظير.

١٤- الدين المندائي و المرأة المندائية:

لقد أنصف الدين المندائي المرأة حين ساوى بينها وبين الرجل في مناحي الحياة واحترم المرأة وأعلى مكانتها. ولقد عملت المرأة المندائية جنبًا إلى جنب مع الرجل ، إضافة لمسؤولية البيت وتربية الأطفال والعناية بالأسرة المندائية ،

وشغلت المرأة المندائية مراكز علمية متقدمة ، فهناك المعلمات والمهندسات والطبيبات والأكاديميات والشاعرات والعالمات.

ومسؤولية المرأة تجاه زوجها مسؤولية اجتماعية وإنسانية وأخلاقية، فهي القسم المتمم للزوج، وكتابنا المقدس يأمرنا بالزواج والإنجاب والإخلاص.

(زوجوا أولادكم وبناتكم وليعتني بعضكم ببعض وليحب بعضكم بعضًا ، ولا يفارق أحدكم الآخر حتى تنتهي أعماركم ، تزوجوا ولا تكونوا كالنبات الرديء الذي يشرب الماء ولا يعطي الثمر).

وهذا يعني أنه لا يوجد عندنا طلاق بل نسميه فراقًا ؛ لأن الرجل الذي يفارق زوجته من حقه أن يعود إليها دون الحاجة إلى إجراء مراسيم دينية مرة أخرى.

والمرأة المندائية المؤمنة الصادقة يجب أن تكون مخلصة لزوجها مثلما يجب أن يكون الزوج مخلصًا لزوجته ، وعليها الالتزام بالوصايا والتعليمات الدينية المندائية وبالمُثُل والقيم والأخلاق النبيلة، فإن (الأم مدرسة إن أعددتها أعددتَ شعبًا طيب الأعراق)[1].

١٥- الزواج من الديانات الأخرى:

مستقبل الأولاد والبنات المتزوجين من ديانات أخرى، وهل من حلول بالأفق؟

هذه بالحقيقة مشكلة معقدة تحتاج إلى حلول واقعية ومنطقية ، والتفكير فيها يتطلب عقلاً نيرًا وروحًا أبوية عالية وبُعد نظر وحسابات دقيقة لمستقبل الطائفة وأبنائها ودراسة المتغيرات والمجتمعات الجديدة وحركة التطور ، والقوانين والنظم الحديثة ، والأمر بما هو مستطاع وممكن بعيدًا عن التزمت والسلفية دون المساس بجوهر الدين والتعاليم التي أنزلها الحي العظيم ، والتطور والتقدم ضرورة حضارية يفرضها الواقع وقوة الشباب والقوانين التي تحميهم من التزمت ومصادرة الحقوق.

---

١ من قصيدة "الأم مدرسة" للشاعر حافظ إبراهيم.

أرى لزامًا علينا وعلى رجال ديننا الأفاضل الموازنة ومجاراة العصر والتطور دون المساس بالجوهر.

وهناك بالحقيقة فريقان:

فريق يمثل رجال الدين ومؤيديهم، ومعظمهم من كبار السن لا يقبلون بزواج بناتهم وأولادهم من الديانات الأخرى، ولهم أسبابهم وقناعاتهم وأهمها:

أ) تشجيع زواج أولادنا من بناتنا، أي من بعضهم البعض لمحدودية العدد وضرورة ترغيبهم بهذا الزواج؛ لكي لا يفكروا بالزواج من غير دينهم، وهذا إحدى واجبات المجالس والجمعيات والمنتديات الثقافية المندائية، وواجب أساسي من واجبات رجال الدين الأفاضل.

ب) ضرورة المحافظة على العائلة المندائية وتماسكها بوشائج القربى وصلة الرحم ونقاء الدم؛ ولكي لا تذوب العوائل المندائية في المجتمعات الكبيرة من الأديان الأخرى.

ج) الدين المندائي دين مغلق، أي ليس دينًا تبشيريًا؛ ولأن كل مندائي ومندائية يحمل اسمًا مدنيًا وآخر دينيًا يُسمى الملواشة التي تأخذ من اسم الأم، كذلك ملواشة الأم تُؤخذ من اسم أمها، وهناك معادلات أخرى يدخل فيها شهر الولادة وساعة الولادة.

وهذه الملواشة ضرورية لإجراء كل المراسيم والطقوس الدينية لكل مندائي ومندائية.

فمثلاً لو تزوج رجل مندائي من امرأة ليست مندائية وأنجب منها أطفالاً، فهؤلاء الأطفال لا يمكن أن يحملوا أسماء دينية، وبالتالي لا يستطيع رجل الدين إجراء أي طقوس دينية لهم.

ولهذا أصدر رجال الدين مجتمعين قرارًا ملزمًا بعدم الزواج من غير الدين المندائي، والذي يخالف يتحمل مسؤولية نفسه.

وهناك فريق له رأي آخر وأسباب أخرى:
لا يخفى على أحد الهجرة وأسبابها ودوافعها ، وانتشار المندائيين في بقاع المعمورة الواسعة واختلاطهم بمجتمعات متطورة وظروف معيشية معقدة ، واحتياج بعضهم للإقامة الشرعية ، وسرعة الحصول على جنسيات وعلى عمل وتعلم اللغة... كل هذا دفعهم للزواج من دين آخر وأنجبوا أولادًا وبنات ، وحبهم لأهلهم وتمسكهم بصلة القربى والأرحام يتمنون زواج أولادهم وبناتهم من المندائيين ، وأن يندمجوا بالمجتمع المندائي ، ويمارسون الطقوس والشعائر المندائية.
يلاحظ أن الأديان السماوية عند دراستها مع مرور الزمن تطورت وخففت كثيرًا من القيود وسُهِّلت إلى الأحسن والأبسط مع المحافظة على الجوهر.
فمثلاً لو أخذنا إحدى وصايا السيد المسيح لأحباره (إن ما تفعلونه في الأرض من جديدٍ أوافق عليه في السماء) ، ومعنى هذا أنه أعطى لأحباره حق التطور والتجديد.
بينما نجد شعيرة التعميد عندنا مثلاً بقيت كما هي ، كما عَمَّد النبي يهيا يهانا السيد المسيح قبل أكثر من ألفي عام ، ولاحظ كيف خفف المسيحيون شعيرة التعميد.
وإني في الحقيقة هنا أتساءل (ما هي نسبة المندائيين الذين يرشمون ويبرخون ، أهي ١% أم ٢% أم أقل من ذلك؟) ، والسبب يعود إلى صعوبة إجراء هذا الطقس المهم الحيوي مع تطور الحياة.
لذلك أرى ضرورة أن يكون عندنا رجال دين أكاديميين يفكرون بعقلانية وحكمة ومنطق وينصفون الشباب ويحببون دينهم إليهم ليتمسكوا بتعاليمه؛ ولهذا أنادي بتأسيس كلية الدراسات المندائية.

١٦- أعلام مندائية خلَّدها التاريخ:

أ) **ثابت بن قرة:** عالم فذ عظيم مقتدر، وُلِد سنة ٢٢١، وتوفى سنة ٢٨٨هـ، ألَّف هذا العالِم الجليل أكثر من مئة وخمسين كتابًا في مجالات الطب والهندسة والفلك والفلسفة والرياضيات، ومن وصاياه الطبية:

راحة الجسم في قلة الطعام وراحة النفس في قلة الآثام
وراحة القلب في قلة الاهتمام وراحة اللسان في قلة الكلام

ما أروعك يا ثابت، وما أغزر علمك، وتعدد مواهبك، وما أعظم ما أنجبت من أبناء وأحفاد علماء في الطب والهندسة والفلك وكل ضروب العلم والمعرفة.
انظروا الشاعر العباسي أبو أحمد يرثيه بقصيدة عصماء، مطلعها:

أَلا مَا خَلا اللهَ كلُّ شيءٍ مائتُ ومَن هَاجَر يرتجي ومَن مَاتَ فَائتُ
نَعَينَا العُلُومَ الفَلسفيَّات كلها خَبَا نورُها إذ قِيل مَاتَ ثَابِتُ

رحم الحي العظيم ثابت أبا سنان، فلقد كان مدرسة متعددة الفنون، نقل علمه بأمانة وإخلاص إلى أولاده وأحفاده من العلماء الأفذاذ الذين خلدهم التاريخ بغزارة علمهم، وما قدموه للبشرية من خدمات

ب) **البتاني:** من أعظم علماء الفلك، وله مؤلفات عديدة.

ج) **سنان بن الفتح:** برع في علم الحساب والأعداد والجبر.

د) **المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابي:** كان أديبًا بارعًا في الأدب والنحو والشعر والنثر.

هـ) أبو **إسحاق الصابي:** نابغة جيله ومن أعلم علماء زمانه، تقلَّد أعمالاً جليلة في ديوان الخلافة العباسية منها رئاسة ديوان الرسائل لأهميته، وكان موضع تقدير واحترام الخلفاء، وكان له صداقة حميمة مع الشريف الرضي من أشراف بني هاشم، وكان له مجلس علم وأدب. ويعتبر أوحد الدنيا زمن الدولة العباسية

في البلاغة وفي إنشاء الرسائل ، وقد رثاه بعد وفاته صديقه وصاحب مجلسه الشريف الرضي بقصيدة عصماء تعتبر من روائع الأدب العربي ، مطلعها :

أعَلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلى الأعْوَادِ أرَأيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النّادِي
جَبَلٌ هَوَى لَوْ خَرّ في البَحرِ اغتَدى مِنْ وَقْعِهِ مُتَتَابِعَ الأزْبَادِ
ما كنتُ أعلمُ قبْلَ اليومِ أنَّ الثَّرَى يَعْلُو عَلَى الأَطْوَادِ

والشكر موصول للبروفيسور قيس السعدي لإعداده كتاب قيم دوَّن فيه مآثر أبي إسحاق الصابي.

و) العالم الدكتور عبد الجبار عبد الله السام: وهذا العالِم الفذ الجليل غني عن التعريف ؛ لسعة علمه ومؤلفاته ونظرياته التي تُدرَّس حتى اليوم في مختلف جامعات العالم المتقدم... والده عالِم دين جليل هو الكنزبرا عبد الله السام... ، ويعدُّ الدكتور عبد الجبار من العلماء الذين يُشَار لهم بالبنان ، وصاحب نظريات عديدة وكبيرة ، أسَّس جامعة بغداد ، ومن العلماء الذين وضعوا الخطط التربوية للنهوض بالتعليم والعلم والعلماء ، عالم الأنواء الجوية وصاحب نظرية عين الإعصار المشهورة ، له نظريات عديدة في علوم الأعاصير ومركز الزلازل الذي يُسمى بلغة العصر تسونامي.
من حق كل مندائي أن يتباهى بالعالِم الفذ عبد الجبار عبد الله ؛ لأنه من العلماء المعدودين الذين قدَّموا خدمات جليلة للبشرية جمعاء.

والمهم الآن كيف لنا أن نبني جيلاً ينبغ فيه علماء وأدباء ومفكرون أمثال ثابت بن قرة ، وأبي إسحاق الصابي ، وعبد الجبار عبد الله ، هذه الحلقات من العباقرة الأفذاذ. فيجب أن ينبغ عدد من أبنائنا ؛ لأننا نملك جينات العبقرية من أجدادنا ، ولأننا قوم من الأذكياء المتفوقين في مجالات الحياة ، ولأن أبواب العلم فُتِحت أمام شبابنا مشرعة في العالم المتقدم.
إن أي أمة تنال شهرتها واحترامها وتقدمها بسلسلة من علمائها وأدبائها ومفكريها ، فلنستثمر الزمان والمكان ولتتواصل سلسلة العباقرة والمبدعين.

١٧- أهم الحِرَف والمهن التي يمارسها الصابئة المندائيون:

لا أعتقد أن أجدادنا كانوا مزارعين أو رعاة ولا غزاة وأهل حروب كما يذكر عدد قليل من الباحثين، حيث ادَّعوا أننا من الأنباط، والأقباط مزارعو ميسان، ومَن قال إنهم غزاة عاشوا في جبال ميديا، وكل هذا لعمري غير صحيح؛ لأن الأجداد تورث مهنتها إلى الآباء، والآباء يورثونها إلى الأبناء، فلم نرَ أن أجدادنا أو آبائنا كانوا -كما يزعم البعض- مزارعين أو رعاة أو غزاة، وإنما أُناسًا مسالمين لا يأخذون أكثر من حقهم ويؤمنون بالناصوراثا ولا يؤمنون بالقوة والسلاح وكتابنا المقدس يوصينا وكذلك يعلمنا:

بسم الحي العظيم

(سلحوا نفوسكم بسلاح أمضى من الحديد، سلاح الناصوراثا وكلمات ربك الصادقة)

والحي المزكى (كنزا ربا)

ولهذا فهم حرفيون أتقنوا الحِرَف وبرعوا بها، وهي الحِرَف التي تخدم الإنسان وتسهل عمله وتيسر له لقمة العيش والكسب الحلال، برعوا في صناعة الأدوات الزراعية التي يحتاجها الفلاح مثل المسحاة والمنجل والمحراث، وأدوات الصيد التي يحتاجها صيادو الأسماك مثل الفالة والشباك وغيرها، كذلك برعوا في صناعة الزوارق بأنواعها مثل المشحوف والطرادة والجليكة والبلم والمهيلة والسفينة وغيرها مما يُستفَاد منه في الصيد وفي النقل.

كذلك برعوا في صناعة الخناجر والسكاكين والسيوف، ومع تطور الأسلحة صنعوا البنادق والمدافع وأنواع الإطلاقات، تطور الأمر إلى صناعة الحلي الفضية، وتفننوا بصناعة الميناء وحافظوا على أسرارها، ثم تطوروا إلى صناعة الحلي الذهبية وبرعوا فيها، وتحولوا إلى صاغة ماهرين فتحسن وضعهم المعيشي، وبالتالي وضعهم الاجتماعي؛ ولأنهم مسالمون، ولأنهم أمناء صادقون، ولأنهم أهل نعمة وخير، أَحَب الناس التقرب منهم وإقامة علاقات صداقة ومودة معهم، وأصبحوا محبوبين من قِبَل كل الناس.

ولكونهم ورثوا جينات الذكاء والإبداع من أجدادهم تفوقوا في الدراسة والعلوم والآداب، فظهر منهم علماء، وأدباء، وشعراء، وأطباء، ومهندسين، وعلماء فلك ورياضيات مشهورين.

والمهم في هذا، الأجيال الصاعدة والنشء الجديد من شبابنا وشاباتنا، وكيف نهيئ لهم الظروف الملائمة ليبدعوا وقد فتحت أبواب العلم والمعرفة والبحث مشرعة في دول أوروبا وأفريقيا وكندا وأستراليا، ومن أحفاد هؤلاء العباقرة العِظام تتواصل حلقات العبقرية في سلسلة العلم والمعرفة المندائية التي تمتد عميقًا عبر الزمن. فإن كمنت هذه الجينات الخلاقة ردحًا من الزمن بسبب ظروف القهر والاضطهاد والتخلف، آن لها الآن أن تتحرر وتنطلق بطاقة حركية هائلة لتنتج لنا عباقرة ينقلون البشرية نقلات نوعية ممتازة، وليكون لنا نحن المندائيون قصب السبق في هذا المضمار، ولنكون موضع احترام وتقدير واهتمام هذه الأمم الحرة الديمقراطية التي تُقدِّر العلم والعلماء، ونحن لها ونحن أهلها... وعلى المؤسسات المندائية أن تخطط لمستقبل شبابنا، وأن لا تشغل نفسها بالخلافات والمهاترات التي تقودها إلى تداعيات، وعلينا أن نعلي شأن بعضنا البعض، فنحن أمة مسالمة مؤمنة ذكية صادقة أمينة.

١٨- الهجرة (أسبابها، دوافعها، إفرازاتها):

الصابئة المندائيون عبر التاريخ أقوام مهاجرة تطلب دائمًا الأمان والمحافظة على دينهم وعقيدتهم؛ ولذلك نجد التاريخ يذكرهم أنهم عاشوا في فلسطين وعاشوا في مصر وعاشوا في حران، وكذلك جنوب العراق وشبه الجزيرة العربية، وحاليًا أعداد كبيرة منهم هاجرت إلى أستراليا وأمريكا ودول أوروبا كلها تقريبًا، خاصةً بعد سلسلة الحروب المدمرة والغزو الأمريكي الغاشم لبلادنا وتدمير البلاد، ونهب العباد، وتدمير البنية التحتية للوطن الأم.

وأهم دوافع الهجرة في العهد السابق، وبعد الغزو الأمريكي وحاليًا:

أ) مطاردة قوى الأمن والمخابرات للقوى التقدمية وتنغيص حياتهم ، وإعدام عدد منهم، وسجن عدد آخر ، إضافة إلى التعذيب والفصل والمطاردة.

ب) ضيق الحالة المعيشية لعددٍ لا يُستهان به من أبناء الطائفة ؛ بسبب عدم انتمائهم لحزب البعث، وفصل عدد منهم أو نقلهم إلى مناطق موبوءة نائية.

ج) ضعف الرواتب التي لم تكن مجزية ، ولا تكاد في وقتٍ من الأوقات أن تكفي لمدة أسبوع واحد.

د) تفشي الفساد والرشوة والمحسوبية والتعصب الديني والطائفية البغيضة ، وخاصةً بعد الغزو الأمريكي.

هـ) السلب والنهب والقتل وهتك الأعراض والخطف والابتزاز ، وخاصةً للأساتذة والأطباء والصاغة وميسوري الحال.

و) طلبًا للأمان والاستقرار والحرية والعيش في مجتمعات ديمقراطية متقدمة تحفظ للإنسان كرامته وتصون حريته وتُؤمِّن له العيش والسكن والرعاية مهما كان دينه ولونه ومعتقده.

ز) الابتعاد قدر الإمكان عن الأوبئة والأمراض الناجمة عن الإشعاعات والأسلحة الفتاكة المحرمة دوليًا والمسرطنة والملوثة للزرع والضرع والماء.

ح) حماية الشباب من الحروب المدمرة والصراعات الطائفية ، ومن التعصب الديني ، ومن كل مظاهر التخلف ومصادرة حقوق الغير والحطِّ من شأنهم ، ومن التمييز بين الناس بسبب الدين والطائفة والقومية. والعيش في أوطان جديدة، الناس كلهم سواسية كأسنان المشط.

ط) استشهاد عدد من شباب الطائفة المجندين في الحروب لفترات طويلة دون مبرر (الطايح رايح).

ي) أمور كثيرة تعاظمت، معيشية ونفسية، وخوف من المستقبل المجهول.

ك) ضعف الخدمات وندرة الكهرباء وشحة مياه الشرب ورداءة الاتصالات والمواصلات ، وتدمير البنية التحتية بالكامل ، ولا أمل في الإصلاح والتطور ، حيث زُجَّ الشعب بكامله في نفق مظلم لا بصيص ضوء في نهاية النفق.

كانت الهجرة قرارًا صائبًا رغم أنه لم يُخطَّط له. ولم يصدر توجيه مركزي من رئاسة الطائفة أو المؤسسات المعتمدة ، وإنما كانت هجرة عشوائية ، كل فرد وكل عائلة تحملت مسؤوليتها ، ولاحقًا أسس اتحاد الجمعيات ومجموعة محاميين للدفاع عن الصابئة المندائيين بعد أن أسس المندائيون في بلدان المهجر جمعيات تجمعهم وتوجههم.

١٩- معرفة الاسم الديني (الملواشة) واسم العائلة:

الملواشة مهمة لكل مندائي ومندائية ، وعلى كل مندائي أن يحفظ عن ظهر قلب ملواشته ؛ لأنه يحتاجها في كل الطقوس والمراسيم الدينية ، وعليه أن يعرف ملواشة أمه وشهر ولادته وساعة الولادة ، وهناك جداول ومعادلات نستخرج منها الاسم الديني.

أما اسم العائلة فنحن المندائيون أحساب وأنساب ، ولو أن المندائيين عائلة واحدة بحكم صلة الدم والرحم ، ولكن هناك سبع عشرة عائلة ، وعمومًا المندائيون حريصون على معرفة أصولهم وجذورهم ؛ لأنها غريزة إنسانية وسُنة كونية.

يُذكَر أن عدد الكنيانات المندائية ثلاث وثمانون كنيانة (لقب) ، ولكن ذهب منها الكثير ، ولم يتبقَ سوى إحدى وعشرون كنيانة ، وهناك قائمة نادرة مدونة حسب الحروف الأبجدية من الضروري الإطلاع عليها.

٢٠- الناصروثـا:

وتعني الإيمان الروحي العميق ، وهذا الإيمان يعني التوحيد المطلق لرب العظمة الحي العظيم في علاه ومعرفته ، وتطبيق ما أنزله علينا من وصايا وتعاليم بواسطة رسله وكتبه السماوية المنزلة ، فعلى كل مندائي أن يتعلم تعاليم الكتاب المقدس ويحفظها ويتخذها دستورًا وعقيدة روحانية له في حياته ليباركه الحي العظيم وينعم عليه وعلى ذريته وليمنحه الحكمة والعقل والقوة والثبات.

فالدين المندائي يعلن لكل المؤمنين وبوضوح (**كل مَن لا يعلم أن ربنا هو ملك النور السامي ملك السماوات والأرض الواحد المعبود ، ليس له والد ولا مولود ، وانبعث من ذاته ، لا نعلم متى كان ولا نعلم متى لا يكون بقوله كل شيء وبأمره خلق كل شيء**) ملعون وموصوم بالعار مَن لا يعلم ذلك ، ومَن لا يصدق ذلك إلى يوم الحساب. فالديانة المندائية قامت على مبدأ التوحيد وتعظيم الحي العظيم وتسبيحه وتمجيده.

والمندائي الذي يعتمد الناصورثا يكون قد وصل إلى أعلى درجات الإيمان ، وتعني نكران مغريات الحياة وملذات الدنيا الباطلة والشهوات والغرائز اللاأخلاقية ، وتعني الصوم الكبير بكل تفاصيله الدقيقة بروحٍ طيبةٍ وعقل منفتح محرر من السيطرة والعبودية والحقد والغل ونكران حقوق الناس والتسلط والابتعاد عن الضالين القتلة المجرمين.

والناصروثا تمنح المندائي المؤمن الحب والصدق والسلام والتفوق على عناصره السلبية من غرائز وشهوات وأعمال ضارة لا يرضى عنها الحي العظيم ولا تقرها وصاياه وأحكامه ورسله وكتبه.

وبهذه الناصروثا يستطيع الإنسان أن يرسم طريق حياته بعيدًا عن الخطيئة ويكسب رضا الحي العظيم وحب الناس أجمعين.

إن الناصروثا سلاح عظيم ، فهي وحدها تكفي لديمومة الصابئة المندائيين باعتباره دينًا ثابتًا وقويمًا باقيًا إلى أبد الآبدين ؛ لأنها متجذرة بالنفوس ، والجذر لا يموت لأنه لا بد أن يورق من جديد.

إن رجال ديننا الأفاضل يجب أن يكونوا ناصورائيين، بمعنى مؤمنين إيمانًا عميقًا مبتعدين عن ملذات الدنيا وغرائزها وشهواتها ، وعن الجشع المادي في خدمة الدين والإنسان المندائي.

وأن تتوفر فيهم مقومات كثيرة وكبيرة، وأن يكونوا قدوة حسنة لنا جميعًا، وأن يتعلم منهم الشباب الأمانة ، والصدق ، والنزاهة ، والعلم والمعرفة ، والحب الصادق ، ونكران الذات ، والعمل من أجل إرضاء الخالق وإرضاء الناس ، ويتوجب عليهم أطال الهيي قدمايي في أعمارهم أن يكونوا أنقياء أتقياء ورعين، أهل علم ومعرفة وتبحُّر في الدين وفي فلسفته وتفسيره ، فهم يجب أن يكونوا قدوة حسنة للجميع ، بعيدين كل البعد عن الدجل والشعوذة والأنانية ، عقولهم نيرة وقلوبهم صافية طيبة يحب بعضهم بعضًا متصافين متآخين ، لا ينابز أحدهم الآخر، ولا يختلف معه من أجل مطامع الدنيا ومن أجل مصلحة خاصة ؛ ولهذا على شبابنا وشاباتنا ، لا بل على الجميع حين ينتخبون أو يختارون رجل دين لقيادة الطائفة أو أي عضو من أبناء الطائفة يجب أن تتوفر فيهم مقومات القيادة وسماتها الأساسية من صدق ، وأمانة ، ومقدرة على إقناع الناس ، واحترام رأي الأكثرية ، والتشاور مع أهل الرأي والمعرفة والحكمة والعقل ، والتحاور مع المعارضة إن وُجِدت ، والاستفادة من آرائهم وأطروحاتهم ، وعلى القائد أن يكون محبوبًا مقنعًا محترمًا من جميع المندائيين.

٢١- الخاتمة:

الغاية من هذه المعلومات شرح مبسط وبلغة واضحة ومفهومة للجميع عن تاريخهم وتراثهم وفكرهم ، وباختصار عن المندائيين لأهل المعرفة والبحث ليكون مدخلاً للموضوع.

ذكرنا شيئًا عن أصولهم ، وعن تسميتهم ، وأركان دينهم ، وأنبيائهم ، وعن طرق معيشتهم ، وعملهم وعن عدد قليل من عباقرتهم ، وعن لغتهم وتوحيدهم لخالقهم الذي خلقهم من جسد مادي ونشماثا روحانية حلت بهذا الجسد من عالم الأنوار.

وركزنا بعض الشيء على المحرمات في الدين المندائي ، وعرجنا عن مستقبل أولادنا وبناتنا المتزوجين من ديانات أخرى بسبب ظروف الهجرة والغربة وأسباب ودوافع هذه الهجرة القسرية ؛ بسبب ما أصاب الوطن الأم من تدمير وخراب وأعمال نهب وسلب واختطاف وقتل ؛ بسبب غياب القانون وضعف الإيمان وتردي الأخلاق ، والتطرف الديني ، والنزعة الطائفية البغيضة. وذكرنا شيئًا عن التوحيد والوصايا التي أنزلها الحي العظيم على عباده الصالحين ، وقدسية اليردنا والتعميد وأهمية الصباغة للمندائيين وضرورة التمسك بالناصروثا ؛ لأنها أقوى من أي سلاح ؛ لأنها تمثل الإيمان العميق والصوم الكبير ، وأكدنا على شبابنا عند اختيارهم لقادتهم أن يتوخوا توفر المقومات الأساسية بالقائد ، وأن يختاروا بملء إرادتهم دون مجاملة أو محاباة أو مصلحة، وأن يبتعدوا عن العائلية والعلاقات الخاصة باختيار مَن يمثلهم ؛ لأن في ذلك مصلحة الطائفة العليا ومستقبلها وديمومتها وسر تطورها. فالمصلحة الخاصة أحيانًا تسبب ضررًا بليغًا للمصلحة العامة ؛ لأنها مرتبطة بها، وقد سُئل يومًا السيد المسيح عن ذلك فقال:

مثل أربعة أشخاص اشتركوا بشراء مركب وتقاسموه ، لكل منهم ركن من المركب، وأمسك أحدهم فأسًا وأخذ ينقر قعر المركب في ركنه، فصاح شركاؤه: ما أنت فاعل يا هذا؟ سيغرق بنا المركب. فأجاب: هذه حصتي وأنا حر فيها. فقالوا له: لعنك الله إنك تُغرقنا جميعًا بفعلك المشين هذا.

وذكرنا أن السرقة والكذب والزنا من المحرمات الأساسية عند المندائيين ، ويُحكَى أن آراميا جاء إلى نبينا يهيا يهانا ، وهو يصبغ الناس وطلب منه أن يصبغه ويقرأ عليه الأسماء التي يذكرها على المصطبغين.

فقال نبينا يهيا يهانا: بلى

فقال الآرامي: ولكنني أكذب وأسرق وأزني.

فقال له: عليك ترك واحدة.

فأجاب الآرامي: ما أترك يا نبي الله؟

قال: اترك الكذب.

فقال: والله تركته من الساعة.

فعمَّده في اليردنا ، بعدها لم يتمكن الآرامي من السرقة والزنا ؛ لأنها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالكذب.

هذه معلومات مركزة ومبسطة استقيتها من خلال إشرافي مع زملائي على ترجمة كتابنا المقدس (الكنزا ربا) ، حيث كنت رئيسًا للجنة الترجمة ، ومن خلال عملي في صفوف الطائفة ومؤسساتها ، ومن دراستي للعلوم المندائية وحصولي على شهادة الدكتوراه في الدراسات المندائية.

وبقدر ما يستفيد الإنسان من الدراسة عليه أن يفيد الناس ؛ لأن بخيل العلم أسوأ من بخيل المال عندما يغادر هذه الدنيا بترك ماله لغيره ، أما بخيل العلم فيأخذ علمه معه دون أن يفيد الآخرين. وأنا هنا أشجع الشباب على الدراسة والتعلم والاستفادة من مجالات العلم والبحث المفتوحة والمتوفرة في هذه البلدان، فاحترامنا وتقديرنا بين هذه الشعوب بعلمائنا وعباقرتنا وأساتذتنا وكرمائنا. فليس من المعقول نحن في السويد لا نستطيع أن نبني منديًا أو ناديًا أو مؤسسة دينية أو ثقافية ، وقد بلغت أعدادنا عدة آلاف ، وفينا الكثير من الميسورين.

أرجو المعذرة في التقصير ؛ لأن الدين علم واسع وعميق ويحتاج التفسير والفلسفة والتحليل إلى مجمع علمي مندائي مثل الأديان الأخرى ، وإلى مراكز بحث ودراسات ، وإلى كلية دراسات مندائية التي نسعى بكل جهد لإنشائها.